عنوان المحاضرة : النظريات السكانية

تمهيد :

ليس هناك نظرية سكانية قائمة بذاتها ، بل هناك اجتهادات فكرية في مجالات البيولوجيا و الاجتماع و الاقتصاد و الثقافة ، حاولنا جمعها و تصنيفها إلى نظرية طبيعية و أخرى اجتماعية و ثالثة اقتصادية ، نعرضها في هذه المحاضرة .

أولا : النظرية الطبيعية

تقوم على افتراض مؤداه أن طبيعة الإنسان نفسه و طبيعة العالم المادي الذي نعيش فيه هي التي تتحكم في نمو السكان و ليس للقيم الإنسانية و الاتجاهات الثقافية دخل في ذلك ، فانخفاض معدلات الخصوبة و نقص السكانية يرجع إلى انخفاض القدرة البيولوجية على الإنجاب ، من أهم روادها :

01-مشيل توماس سادلر : مصلح اجتماعي و رجل اقتصاد ، نشر عام 1830 مؤلفا في مجلدين بعنوان (قانون السكان) ، يرى أن السكان لديهم آلية بيولوجية تحول دون زيادتهم و نموهم إلى حد مفرط ، فارتفاع الكثافة السكانية يؤدي بطريقة آلية و طبيعية إلى تناقص القدرة الإنجابية و يستقر حجم السكان عند الحجم الأمثل ، و هكذا يبدوا التفاؤل على آرائه عكس مالتس ، إلا أن ما أعيب على نظريته هذه هو أنها لا تستقرء كل الحقائق الخاصة بالسكان في كل بلاد العالم ، ففي بلدان كمصر و الصين و الهند تعتبر أكثر الشعوب إنجابا و لكنها في نفس الوقت تعاني من زيادة مرتفعة (أي أين تدخل الميكانيزم أو الآلية البيولوجية التي تحد من الزيادة ؟) ، و من جهة أخرى يمكن أن تتدخل وسائل منع الحمل و الإجهاض في خفض معدلات النمو السكاني .

02-بيرل : يرى أن النمو السكاني يحدث في شكل " دورات " ، في بداية الدورة يكون النمو السكاني بطيء يصل إلى أقصاه في المنتصف ثم يبدأ في التراجع نهاية الدورة ، و في دراسته يرى أن ازدياد معدلات الإنجاب لدى الطبقات الفقيرة و الدنيا يعود إلى الفقر الذي يزيد من النشاط الجنسي ، و هذا ما ذهب إليه أيضا "جيني كورادو" .

03-توماس دبلداي : اقتصادي و فيلسوف انجليزي ، يرى أن عدد السكان يرتبط ارتباطا عكسيا بمواردهم من الغذاء ، حيث كلما تحسنت مواردهم من الغذاء كلما تباطأت الزيادة السكانية ، ففي المجتمعات الفقيرة ترتفع معدلات الإنجاب و تفسير ذلك أن الطبقة الفقيرة تتغذى على السمك و الخضر و النشويات و تفتقر و جباتهم إلى البروتين مما يرفع معدلات الخصوبة ، و تقل هذه المعدلات عند الطبقة الغنية التي تنعم بالغذاء الكامل و الجيد و الترف ، بينما تعتدل في الطبقات المتوسطة ، رأي ذهب له كذلك " جو.دي كاسترو".

04-هربرت سبنسر: فيلسوف و مفكر اجتماعي ، عرض أفكاره حول السكان في كتابه (مبادئ البيول+وجيا) عام 1901 ، و على العكس من دبلداى يرى أن الغذاء الجيد سبب زيادة القدرة الإنجابية ، و يرى أن الأجسام العضوية الدنيا ذات قدرة ضعيفة على المحافظة على بقائها لذا تتجه إلى التكاثر لحماية نفسها ، و عندما تتطور إلى كائنات عضوية عليا فإنها تبذل جهدا لبناء شخصيتها و بالتالي تقل قدرتها على التوالد و الإنجاب ، و يضيف أن انخفاض القدرة الإنجابية لدى النساء العاملات بعقولهن كالتعليم أو الإدارة رغم تغذيتهن الجيدة و نيلهن قسطا وافرا من الرعاية الصحية ، عكس النساء العاملات بعضلاتهن اللائي يتمتعن بقدرة إنجابية مرتفعة .

ما يؤخذ على أفكار سبنسر أن أسباب تناقص القدرة الإنجابية عند النساء العاملات بذهنهن يعود لأسباب كثيرة ، فتعليم المرأة يجعلها تميل إلى تكوين أسرة صغيرة العدد ، كما تجاهل أيضا ما وفره العلم الحديث من وسائل منع الحمل ، كما أن المرأة التي نالت قسطا وافرا من التعليم معناه تجاوزها لأهم فترات الخصوبة (20-30 سنة) .

ثانيا : النظرية الاجتماعية

تقوم على افتراض أن العوامل الاجتماعية و الاقتصادية هي الأساس في ارتفاع أو انخفاض معدلات النمو السكاني ، من أهم روادها :

01-هنري جورج : اقتصادي و مصلح اجتماعي أمريكي ، عكس مالتس تفاءل بالعلاقة بين الغذاء و السكان ، " فزيادة السكان تتضمن زيادة غذائهم " و لكن بشرط تساوي جميع السكان في الحصول على الموارد دون احتكار ، و يعتقد أن القدرة على الإنجاب تتناقص بانتشار الوعي الفكري بين الأفراد.

02-إميل دوركايم : ربط دوركايم بين العمل الاجتماعي و الكثافة السكانية و تقسيم العمل ، بحيث يرى أن المجتمعات الآلية (البدائية) كبيرة العدد اما المجتمعات العضوية (المعاصرة) صغيرة العدد بسبب تقسيم العمل الذي يزداد تخصصا و تعقيدا في المجتمعات المعاصرة .

03- أرسين ديمون : قدم هذا الأخير نظريته حول الارتقاء الاجتماعي تقوم على:

* تتناسب الخصوبة تناسبا عكسيا مع الارتقاء الاجتماعي .

* يتناسب تقدم الفرد و قوة شخصيته تناسبا طرديا مع الارتقاء الاجتماعي .

* تقل الكثافة السكانية في البلاد الديمقراطية عكس البلاد الديكتاتورية .

04 - **ستير نبرج :** يرى أن الأساس الأيديولوجي يتحكم في معدلات الإنجاب ، مشيرا إلى العقلية الرأسمالية التي تكرس الفروق الفردية و تمنح للفرد مكانة جيدة كلما توفرت به شروط ذلك ، و يمكن أن نقارن هنا بين الفكر الرأسمالية و غيره ، فنحن المسلمين من أساسيات اعتقادنا هو التكاثر امتثالا لديننا الحنيف و سنة نبينا المصطفى .

05- فرانك فيتر: على العكس من مالتس الذي فسر وأد البنات للتخلص من الزيادة السكانية ، فسر فيتر ذلك بأنه يعود إلى الخوف من العار فالبنت منذ الأزل يُنظر لها كرمز للخطيئة و من ثم يجب التخلص منها .

ثالثا: النظرية الاقتصادية

تقوم على افتراض مؤداه أن للعوامل الاقتصادية كمستوى الدخل، نمط الإنتاج والنشاط الاقتصادي الممارس، الثروات المادية والاقتصادية التي تزخر بها الدولة...الخ ، التي من شأنها التأثير المباشر على السكان وسلوكهم الإنجابي وحتى توزيعهم الديمغرافي، من أهم روادها:

01-**كارل ماركس :** فيلسوف و اقتصادي ألماني ، يرى أن ميل الإنسان إلى الضغط على وسائل العيش راجع إلى شرور الرأسمالية ، التي أفرزت الفقر و الحرمان و البطالة ، و عندما تسود الشيوعية فإن النظام الشيوعي كفيل بالقضاء على هذه المشكلات فمهما زادت نسبة الإنجاب و الأعداد الكبيرة للسكان فالعدالة تحفظ لهم حقوقهم في وسائل العيش و الغذاء.

02-**ألكسوندر كارسوندرز:** يفترض أن هناك علاقة بين حجم السكان وبين موارد الثروة في المجتمع، من أرض زراعية يمكن استغلالها أو ثروة معدنية يمكن استخراجها وغيرها من المواد التي تستخدم في الانتاج.

بحيث يحكم على العدد بأنه قليل أو خفيف إذا كان هذا العدد لا يساعد على القيام بالمشروعات التي تستغل في هذه الموارد ويعجز أن يوفر المنتجات التي يحتاجها هذا العدد، ويكون هذا العدد كبير أو كثيف إذا كانت الزيادة في عدده تؤدي إلى تناقص الإنتاج المستخرج من موارده ، ويوصف السكان بالحجم الأمثل عندما يكون حالة وسطا بين القلة والكثرة شرط أن يبلغ الإنتاج حده الأقصى دون زيادة في عدد السكان.

03- **سيدني كونتز:** فسر "كونتز" الظواهر السكانية في ضوء بعض العوامل الاقتصادية على النحو التالي:

أ- **عامل مقدار العمل المطلوب**، ويقصد بها فرص العمل المتاحة والتي تتحدد من خلالها معدلات الزواج والإنجاب، إلا أن هذه المعادلة لا تنطبق على الدول الغربية التي عرفت تراجعا في معدلات الإنجاب في ظل وفرت فرص العمل، وهذا يؤدي بنا إلى العوامل الاقتصادية اللاحقة.

ب- **عامل نوع العمل المطلوب**، وفصل بين ما أسماه "العمل الماهر" ويصد به العمل المتخصص و" العمل غير الماهر" العمل البسيط غير المتخصص، حيث يؤدي الطلب على العمل الماهر إلى تراجع معدلات الانجاب ذلك أن الأفراد باتجاههم نحو هذا العمل بحاجة إلى تكاليف عالية للدراسة وسنوات طويلة قد تصل إلى 20 سنة كتخصصات الطب والهندسة...وغيرها، أما الإقبال على العمل الغير ماهر كالزراعة والحرف اليدوية ...وغيرها كونها لا تحتاج لسنوات دراسة طويلة ولا تكاليف باهظة. فإن المجتمعات التي تسودها هذا النوع من العمل ترتفع فيها معدلات الإنجاب.

ت- **الوظيفة الاقتصادية للأسرة**، حيث يرى أن التغير الذي طرأ على الوظيفة الاقتصادية للأسرة من وحدة إنتاجية زراعية تحتاج يد عاملة كثيرة إلى وحدة صناعية استهلاكية جعل القيمة الاقتصادية للأبناء تتلاشى،كما كان لخروج المرأة للعمل و مشاركتها في الإنتاج ودخل الأسرة جعل هذه الأخيرة تميل إلى تقيل عدد الأطفال الذين تنجبهم .